عبدالله الخضيري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

قواعد الإنصاف في التعامل

الاختلاف طبع من طبائع البشر وسنة كونية من سنن الخلق يتفق عليها الجميع. فالناس مختلفون في حياتهم وسلوكهم وتصرفاتهم وأفكارهم وطبائعهم. ولا يمكن بأي حال من الأحوال جعل كل الناس متوافقين في القضايا والمواضيع على مر الأزمنة والعصور. بل لا يزال الاختلاف قائما ومستمرا منذ بدأ الخلق وسيستمر إلى قيام الساعة. والاختلاف بين البشر واضح في ألوان الناس وألسنتهم وطبائع حياتهم لحكمة أرادها الخالق سبحانه وتعالى. ليس الاختلاف مشكلة إنما طبيعة التعامل مع المخالف الذي لا يتفق مع رأيك وفكرك وعملك هو أصل الموضوع. يجب أن يكون التعامل مع المخالف بالإنصاف والعدل كما أمر بذلك الدين الإسلامي وذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع. منهجية العمل التي يجب اتباعها مع المخالفين يجب أن تكون مبنية على التعامل معهم بإنصاف وعدل وهذا الأمر لا يعود بالفائدة على المخالف وحسب، إنما على الشخص نفسه من خلال إعادة ضبط التصرفات والانفعالات وقياس الأمور بشكل سليم وصحيح من دون أن يعطيها حجما أكبر من حجمها، أو وزنها الطبيعي. التعامل المخالفين إذا تم وفق منهج الانصاف كما جاء في الشريعة الإسلامية فإن هناك العديد من الإيجابيات التي ستتحقق وتعود على النفس والمجتمع بالفائدة. والإيجابية الأولى من هذه الإيجابيات المتحققة في إنصاف المخالفين تتمثل في اتساع نطاق التفكير وعدم محدوديته وقوقعته في إطار معين، وكذلك مواجهة الانحرافات في الأفكار والأعمال عن طريق المقارعة بالحجة، وتبادل الآراء وهو ما يؤدي إلى إيجاد بيئة مناسبة للعمل والإنتاج. ولا شك أن منشأ الخلافات يعود إلى تضخيم الأحداث وتهويلها من خلال قلب مريض يسعى إلى بث الفرقة والشقاق من دون أن تكون لديه رغبة في إنصاف الخصم والاستماع إليه ومواجهة ما يطرحه بالعقل والحكمة والرأي السديد. هذا الأمر يوجب أن تكون هناك قواعد ينبغي الالتزام بها في التعامل مع المخالفين أهمها التثبت والتبين وعدم الاندفاع نحو إصدار أحكام متسرعة بلا تأكد ويقين من وجود الخطأ. وكذلك يجب الموازنة بين الحسنات والسيئات وعدم الفجور في الخصومة وأخذ الكلام من جوانبه الإيجابية الحسنة وعدم تصنيف الناس في اتجاهات معينة. وإذا كان منهج التعامل مع المخالف مبنيا على العدل والإنصاف فإن من السهل فهم وإدراك كلام المخالف والمقصود منه والرد عليه وإفهامه ما وقع فيه من أخطاء دون ظلم له أو فجور في الخصومة معه. ويجب على كل شخص أن يبدأ في تطبيق قواعد الإنصاف في التعامل مع المخالفين على نفسه أولا من خلال التأني وعدم العجلة في إصدار القرارات والحكم على الناس من دون تبين وتحقق.